أضواء على مصحف عثمان رضي الله عنه و رحلته شرقا و غربا

د . سحر السيد عبد العزيز سالم

تجمع المصادر العربية على أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يأمر بكتابة كل ما كان ينزل عليه من آيات. و كان يتولى كتابة الآيات أربعة في قول، لا يختلف فيهم، هم أبيّ بن كعب، و معاذ بن جبل ، و زيد بن ثابت و أبو زيد (١) . و كلهم من الأنصار ، و اختلفوا في رجلين من ثلاثة هما أبو الدرداء (٢) و عثمان .

كتبوه في الرقاع و الأكتاف و العسب (٣) . و اكتفى بتدوينه في هذه المواد فكانت الآيات مفرقة و بالاضافة الى ذلك وجد من الحفّاظ من كان يستظهره في صدره ، بعضهم تيسر له أن يعرض ما حفظه على رسول الله (ص) و البعض الآخر حفظه عن الصحابة (٤) .

و بذلك يكون المقصود بجمع القرآن في زمن الرسول (ص) التدوين في الرقاع و العسب و اللخاف و الأكتاف ، و كذلك بمعنى حفظه في الصدور . و بهذا أصبح للقرآن صورتان . صورة صوتية ، و صورة مكتوبة (٥) . و كانت الصورة الصوتية أسهل في التحقيق من التدوين لقلة عدد الكتاب . و على هذا النحو كان هناك مصدران للقرآن الكريم ،الأول المواد سالفة الذكر التي سجل عليها دون ترتيب و الثاني سماعي في صدور حفاظ القرآن الكريم .

و لم يكد الرسول (ص) يلحق بالرفيق الأعلى حتى اضطربت أحوال الدولة الاسلامية و قامت حركة الردة ، و اضطر أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يقف موقفا حازما من المرتدين، و لم يتردد في محاربتهم في كل أنحاء الجزيرة العربية . و دفع المسلمون في ذلك ثمنا فادحا إذ استشهد منهم نحو ألف في موقعة اليمامة من بينهم عدد لا يستهان به من حفاظ القرآن الكريم يقرب من أربعمائة و خمسين شهيدا (٦) . و عندئذ رأى أبو بكر ضرورة جمع القرآن الكريم خشية ضياعه . و عهد الى زيد بن ثابت بجمعه لثقته في حفظه و صدقه (٧) و هكذا قدم أبو بكر الصديق للإسلام أعظم الخدمات و عاونه في ذلك عمر بن الخطاب . و قام زَيد بن ثابت بدوره الذي عهد اليه به على أكمل وجه، فكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد عليه شاهدان (٨) " مبالغة " منه في الحيطة . و يعتبر أبو بكر أول من جمع القرآن بين اللوحين بعد أن كان متفرقا في قطع من العظم و العسب و الحجر و الجلد .

و عرف هذا القرآن " بالمصحف " ، كما كان يطلق الأحباش (٩) على كتابهم و أودع المصحف عند أبي بكر في حياته ثم عند عمر بن الخطاب في حياته ، و انتهى به المطاف عند حفصة بنت عمر التي كانت تجيد القراءة و الكتابة (١٠) .

و أغلب الظن أنه كتب بالخط اللين (المكي). و قيل أنه كتب بكل من الخطين الجاف (المدني) الذي عرف بالخط المزوى ، و الخط المكي اللين .(١١)

مصاحف عثمان في الأمصار الإسلامية

و في خلافة عثمان اتسعت الفتوحات الإسلامية و شملت بلاد أرمينية و اذربيجان. و كان حذيفة بن اليمان من بين من شهدوا فتح هذين البلدين (١٢) ، و رأى اختلاف الناس في قراءة القرآن بسبب اختلاف اللهجات مما أدى الى تعدد القراءات . فسار الى المدينة و التقى بعثمان بن عفان و قال له " أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود و النصارى"(١٣). فقرر عثمان بن عفان رضي الله عنه جمع القرآن في نسخ موحدة على قراءة واحدة بلسان قريش ترسل الى الأمصار. و بعث الى السيدة حفصة أم المؤمنين أن ترسل مصحف أبي بكر ليأمر بنسخه. و أسند عثمان بن عفان الى زيد بن ثابت و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مهمة نسخ المصحف مرتب السور بلسان قريش (١٤) .

و لما فرغ النساخ من المصحف و كتابته أمر عثمان رضي الله عنه باحراق ما عداه من صحف أو مصاحف خاصة كان يحتفظ بها الصحابة . و قد اختلف في تحديد السنة التي تم فيها استنساخ المصاحف و الأرجح أن ذلك (١٥) تم سنة ٣٠ هـ .

و رغم هذا الموقف المحمود الذي وقفه عثمان بن عفان رضي الله عنه لتوحيد المصحف على قراءة واحدة و إحراق الصحف الأخرى التي تسببت في اختلاف كلمة المسلمين و تكفير بعضهم لبعض فقد كان هذا الموقف سببا من بين أسباب (١٦) الثورة عليه .

و عرفت هذه المصاحف " بالمصاحف الأئمة " أو " المصاحف العثمانية ". و قد اختلف في عدد المصاحف العثمانية التي أرسلت الى الأمصار، فأبو بكر الداني جعلها أربعة وزعت على الكوفة و البصرة و دمشق و ترك عثمان عنده نسخة لنفسه (١٧) . و حذا الزركشي في البرهان حذو الداني في المقنع (١٨) . أما السجستاني فيورد في كتاب المصاحف روايتين الأولى على لسان حمزة الزيات جعلها أربعة مصاحف و الثانية جعلها سبعة مصاحف توزعت على مكة و الشام و اليمن و البحرين و البصرة و الكوفة و المدينة (١٩) . و ينفرد اليعقوبي برواية جديدة (٢٠) فيها عدد المصاحف تسعة في حين جعلها ابن الجزري ثمانية (٢١) من بينها مصحف استبقاه لنفسه يقال له " الإمام " .

و يميل جمهور من الباحثين الى أن المصاحف الأئمة كانت ستة (٢٢) .

و ينبغي أن نفرق بين المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه الى الأمصار ومن بينها مصحف المدينة ، و بين مصحفه الخاص به الذي كان يقرأ فيه ساعة استشهاده ، و هو الذي قيل أنه خط بيمينه . و هو موضوع بحثنا هذا .

مصحف عثمان الشخصي

تجمع المصادر العربية على أن عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما أقدم المحاصرون لداره على اقتحامها يوم استشهاده أخذ مصحفه الخاص و وضعه على حجره ليتحرم به و يقرأ فيه . و استشهد و هو يقرأ القرآن . و تناثرت قطرات من دمائه على بضعة ورقات من مصحفه الإمام منها قطرات على قوله عز وجل « فسيكفيكهم الله و هو السميع العليم » (٢٣) . و قد واكبت المصحف الإمام منذ استشهاد صاحبه ادعاءات مختلفة بحيازته ، و من هنا تبدأ مشكلة مصير هذا المصحف . و فيما يلي عرض موجز لأهم هذه الادعاءات و المزاعم .

أ - من المصاحف التي زعموا أنها مصحف عثمان الذي يحمل آثار قطرات دمه مصحف مصر

و يذكر المقريزي أنه استخرج من خزائن المقتدر بالله العباس و نقل الى جامع عمرو في ٥ من المحرم سنة ٣٧٨ في خلافة العزيز بالله (٢٤) ، و إن كان نقله لم يثبت بأي نص تاريخي و ظل مصحف مصر الذي زعموا أنه مصحف عثمان محفوظا بمدرسة القاضي الفاضل الواقعة قرب المشهد الحسيني ثم نقل بعد تخرب المدرسة الى القبة التي أنشأها السلطان الغوري تجاه مدرسته وظل محفوظا بها حتى سنة ١٢٧٥هـ عندما نقل مع آثار نبوية الى المسجد الزينبي ثم الى خزائن الأمتعة بالقلعة ثم الى ديوان الأوقاف سنة ١٣٠٤هـ . و من هناك في العام التالي إلى قصر عابدين و أخيرا إلى المسجد الحسيني في نفس السنة (٢٥) . و يستبعد السمهودي أن يكون هذا المصحف هو نفس مصحف عثمان الخاص به (٢٦) . و يرجح أن يكون أحد المصاحف التي كان قد بعثها عثمان إلى الأمصار .

و للرد من جانبنا على هذا الزعم لا بد أن نشير إلى حقيقة هامة و هي أن عثمان لم يبعث إلى مصر نسخةً من المصاحف العثمانية ، فإن اسم مصر لم يرد بين الأمصار التي تلقت مصاحف عثمان وفقا لما ذكره ابو عبيد القاسم بن سلام ، و السجستاني و أبو عمرو الداني مما يدفعنا إلى ترجيح الرأي القائل بأن عثمان لم يرسل نسخة من مصحفه إلى مصر (٢٧) . و لما كانت الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر قد درست خط مصحف مصر و أثبتت أن خطه يرجع إلى عصر متأخر عن عصر عثمان بن عفان (٢٨) ، فإننا نرى أنه ربما كان هذا المصحف قد استنسخ من أحد المصاحف العثمانية كمصحف الشام مثلا ، فإن حركة استنساخ المصاحف كانت قد نشطت كثيرا في العصر الأموي. و قد ذكر أن الحجاج ابن يوسف الثقفي قد أرسل نسخا من مصحفه إلى الأمصار و من بينها مصر و أن ذلك التصرف

قد استشار غيرة عبد العزيز بن مروان و إلى مصر الذي بادر بنسخ مصحف لمصر رصد له القــراء و المراجعين المتخصصين بحيث صدر مطابقا للمصحف العثماني و بذلك يكون هذا المصحــف أول مصحف رسمي لمصر (٢٩)

ب - و الادعاء الثاني يتعلق بمصحف البصرة فقد ذكر ابن بطوطة في جملة ما كتب عــن رحلته إلى البصرة أنه شاهد في مسجد أمير المؤمنين علي "المصحف الكريم الذي كان عثمـــان رضي الله عنه يقرأ فيه لما قتل و أثر تغيير الدم في الورقة التي فيها قوله تعالى « فسيكفيكهم الله و هو السميــع العليم » (٣٠) . و نستبعد أن يكون هذا المصحف هو نفس مصحف عثمـان الذي كان يقرأ فيه ساعة استشهاده لأن بني زيان كانوا يحتفظون بهذا المصحـف في خزائـــن سلاطينهم في تلمسان إلى أن استرده أبو الحسن علي المريني منهم في سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ م). ثم ان العراق وقت زيارة ابن بطوطة له كان يخضع لدولة ايلخانات المغول في ايران الذين كانوا قــد اعتنقوا الإسلام منذ أن تولى سابعهم غازان خان الإسلام (١٢٩٥) . ولو افترضنا جدلا أن المصحف الذي رآه ابن بطوطة في البصرة هو مصحف عثمان و أنه انتقل من بغداد الى البصرة في أعقـاب سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ في أيدي المغول ، فكيف نفسر ظهور مصحف آخر عليه آثار قطـرات من دم عثمان في خزائن المرينيين في المغرب اللهم الا إذا كان أحدهما مزيفا. و نحن لا نشك فـي المصحف المغربي ، و كان في الأصل محفوظا في جامع قرطبة ، ثم حمله الموحدون الى مراكـش خشية أن يتعرض للضياع في قرطبة التي كانت تتهددها قوات القشتاليين و لم يكن الموحــدون من السذاجة بحيث يحملون مصحف عثمان من جامع قرطبة عندما تهدده الخطر القشتـالي إلـى عاصمتهم مراكش و يتفننون في الإحتفال به و ترصيعه بأنفس الدرر و الياقوت و يجندون المهندسين و أرباب الحيل الهندسية للحفاظ عليه داخل خزائن تفتح وتغلق آليا ، و يحمله خلفاؤهم في حملاتهم تبركا ما لم يكن هذا المصحف موضع التبجيل و التكريم هو أو على الأقل بضع ورقـــات منــــه ، من مصحف عثمان الأصلـــي .

و هذا يدعونا الى الشك في أصالة مصحف البصرة الذي رآه ابن بطوطة . و لا يبقـــى أمامنا سوى افتراض أن يكون هذا المصحف المحفوظ بالبصرة أحد المصحفين اللذين أرسلهمـــا عثمان ابن عفان الى العراق (٣١) ، و أن تكون آثار قطرات الدم التي تركزت على الآية « فسيكفيكهـم الله » قد وضعت عمدا للتمويه و اقناع البسطاء من الناس بأنه مصحف الخليفة الشهيد .

ج - و الادعاء الثالث يتعلق بمصحف طشقند فمكتبة الادارة الدينية بطشقند تحتفظ بمصحف مكتوب على الرق يزعمون أنه مصحف عثمان و يتميز هذا المصحف بأنه خال من النقط و أن كـل صفحة من صفحاته تشتمل على ١٢ سطر و أن عدد ورقاته ٣٥٣ ورقة قياسها ٦٨سم×٥٣سم(٣٢).

و يتساءل البعض عن كيفية وصول هذا المصحف الإمام إلى سمرقند إلى أن نقل سنة ١٨٦٩م إلى موضعه الحالي بطشقند (٣٣) .

و يفترضون حلا لذلك افتراضين الأول أن يكون هذا المصحف قد وصل إلى سمرقند إبان حكم القبيلة الذهبية (٦٢١ -٩٠٧ هـ) و أنه كان هدية من الظاهر بيبرس الذي تحالف مع بركة خان رئيس هذه القبيلة و أول من أسلم من المغول ، و صاهره . و الافتراض الثاني في أقوال هؤلاء المؤرخين أن يكون هذا المصحف هو نفس المصحف الذي رآه ابن بطوطة عند زيارته للبصرة (٣٤) ثم نقل إلى سمرقند على يد تيمورلنك (٧٧١-٨٠٧ هـ) و الافتراض الأول مرفوض تماما لأنه لا يقوم على أساس صحيح لأن نسبه مصحف مصر إلى عثمان بن عفان أمر مشكوك فيه أساسا . و في هذه الحالة يصبح مصحف بيبرس الذي أهداه بركة خان مزيفا لأن ذلك يعني أن مصر كانت تحتفظ زمن المماليك بنسختين من المصاحف العثمانية ، وهذا محال بطبيعة الحال لأن مصحف عثمان الذي اصطبغت بعض أوراقه بدم عثمان واحد فقط ، يضاف إلى ذلك الحقيقة بأن عثمان ا بن عفان لم يرسل أصلا إلى مصر نسخة من المصاحف التي أمر بنسخها و أن عبد العزيز بن مروان هو أول من نسخ مصحفا رسميا في مصر على نسق المصحف العثماني . أما الافتراض الثاني فقد لقي قبولا (٣٥) عند بعض الباحثين و رفضا من البعض الآخر (٣٦). فالذين يؤيدون فكرة إنتقال المصحف من البصرة إلى سمرقند يقصدون به واحد من النسخ التي بعث بها عثمان إلى الأمصار الإسلامية ، و يستندون في ذلك إلى أن صورة الخط الذي كتب به مصحف طشقند أقرب ما يكون إلى صورة الخط الذي كتب به المصحف الإمام ، أي أن تأييدهم ينحصر في أن مصحف سمرقند يمكن أن يكون نفس المصحف العثماني إلى البصرة . وأما الرافضون لهذا الإفتراض فيرون أن الصنعة الفنية تظهر واضحة في مصحف طشقند ممثلة في رسم الحروف مما يشير إلى أن الخط الذي كتب به لا يرجع تاريخه إلى خلافة عثمان و إنما يرجع إلى القرن الثاني أو الثالث للهجرة فالخطوط مستقيمة تبدو وكأنها رسمت بمسطرة .

د- الإدعاء الرابع يتعلق بمصحف حمص فقد شاهد الشيخ اسماعيل بن عبد الجواد الكيالي في مسجد قلعة حمص المصحف العثماني محفوظا في خزائنه و الخزانة موضوعة داخل صندوق لحفظه (٣٧) . و يذكر الشيخ الكيالي أنه كان مكتوبا بالخط الكوفي الغليظ و أنه شاهد آثار دماء في بعض الكلمات . و لكن العلماء المتخصصون في علم الخط و النقوش الكتابية يرون أن الخط الكوفي الذي كتب به مصحف حمص يرجع إلى عصر متأخر مما يؤكد أنه كتب فيما بعد القرن الأول الهجري .

هـ- و الإدعاء الخامس هو مصحف اسطنبول فمتحف طوب قابو سراي باسطنبول يحتفظ

بمصحف مكتوب على الرق يزعمون أنه نفس المصحف الذي كان بيد الخليفة عثمان يوم استشهد و أن آثار الدماء ما تزال واضحة على ورقاته حتى اليوم . و لكن الرجوع إلى وصف المصحف يتضح أن هذه النقاط الحمراء التي يزعمون أنها آثار دم عثمان ليست سوى رقوش رقوش دوائر بداخلها خطوط هندسية و في ذلك ما يؤكد بأن المصحف لا يمت بصلة إلى المصاحف العثمانية إذ لم يكن الرقش و التنقيط من خصائص تلك المصاحف .

و هناك من المصادر العربية ما يؤكد أن مصحف عثمان بن عفان الخاص به و الذي تحتفظ أوراقه بآثار دمه كان محفوظا في جامع قرطبة حتى سنة ٥٥٢ هـ عندما نقله عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين إلى مراكش ، و أنه ظل بالمغرب حتى عصر بني مرين . و نحن نعتقد أن المصحف المذكور يشتمل على بعض ورقات من مصحف عثمان أضيفت إليها صفحات أخرى منسوخة من مصحف عثمان في الأندلس . و لإثبات ذلك لا بد من تتبع مصحف عثمان الخاص به من استشهاده حتى وصوله إلى الأندلس بالمغرب . ونستنتج مما ذكره السمهودي في "وفاء الوفا" أن مصحف عثمان الذي كان يطالع فيه وقت استشهاده انتقل بعد وفاته إلى أحد شخصين كلاهما يحمل إسم خالد . أحدهما نقلا عن محرز حفيده خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان (٣٨) و الثاني وفقا لرواية ابن قتيبة هو خالد بن عثمان بن عفان (٣٩) من زوجته أم عمرو بنت جندب . أما خالد الحفيد فهو ابن رملة بنت معاوية بن أبي سفيان (٤٠). و معنى ذلك أن خالد بن عمرو بن عثمان المذكور في رواية محرز كان حفيدا لكل من عثمان ابن عفان من جهة الأب ، و معاوية بن أبي سفيان من جهة الأم . و نميل إلى الأخذ برواية محرز التي أوردها السمهودي و فيها ما يؤكد أن المصحف الإمام المنقط بدم عثمان ظل محفوظا لدى خالد بن عمرو بن عثمان لعاملين. الأول: قرابته من معاوية بن أبي سفيان فهو حفيده، و من المنطقي أن يسمح الجد (معاوية) لحفيده (خالد) بأن يحتفظ بمصحف جده (عثمان بن عفان)، و ذلك لثقة معاوية التامة في أن حفيده لن يفرط في هذا المصحف أبدا . و الثاني: أن دار عثمان آلت إلى عمرو بن عثمان و اخوته، و هي الدار التي كان قد تصدق بها وفقا لرواية السمهودي على ولده (٤١) ، و عرفت دار عثمان لذلك بدار عمرو بن عثمان مما يؤكد أنه كان أكثر أولاد عثمان اهتماما بدار أبيهم ، و أنه أكثر من الإقامة بها حتى عرفت بإسمه ، و في ذلك ما يشير إلى أن ولده خالد بن عمرو نشأ في هذه الدار و أقام بها ، و أنها هي نفس الدار التي قتل فيها عثمان ، و كان بها مصحفه المنقوط بدمائه .

و لهذين العاملين نرجح أن يكون مصحف عثمان في حوزة حفيده خالد بن عمرو باعتباره أقرب إلى معاوية بن أبي سفيان و بنيه من خالد بن عثمان ، بالاضافة إلى أنه كان يقيم مع أبيه

في دار عثمان بن عفان نفسها ، و هذا يؤكد عدم خروج المصحف من دار عثمان حتى ذلك الحين . و أيا ما كان الأمر ، و سواء كان المصحف المنقوط بدم عثمان محفوظا عند خالد بن عثمان أو عند خالد بن عمرو بن عثمان، فإن هذا يعني بقاء المصحف في حوزة آل عثمان بن عفان وأن بني أمية لم يسعوا إلى انتزاعه منهم لاطمئنانهم إلى سلامته في حمى أقربائهم أبناء عثمان بن عفان.

و يعتمد ابن عبد الملك الأنصاري و نحن نؤيده في رأيه أن هذا المصحف المنقوط بدم عثمان فقد في المدينة في بعض الفتن الطارئة عليها (٤٢) ، و هذه الفتن تنحصر في واحدة من الفتن الثلاثة التي وقعت في المدينة :

الأولى: و هي التي حدثت في سنة ٥٠ هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان عندما صمم معاوية على انتزاع البيعة بولاية العهد لابنه يزيد من أبناء الصحابة ، فقدم بنفسه إلى المدينة في ذلك العام و أرسل للقاء العبادلة من أبناء الصحابة ، و خاطبهم في مبايعة يزيد، فاعترضوا على ذلك و رفضوا أن تكون الخلافة هرقلية كلما مات هرقل تولى هرقل، فعاد معاوية إلى دمشق غاضبا بعد أن طلب من سعيد بن العاص عامله على المدينة بأن يحمل الناس على مبايعة يزيد ، فأبى أهل المدينة ، و اضطر معاوية إلى العودة إلى المدينة في ألف من الخيالة لإرغام المعارضين على المبايعة ليزيد ، و كانوا يتمثلون في الحسين بن علي و عبد الله بن عمر ، و عبد الرحمن بن أبي بكر، و عبد الله بن الزبير فأوقف على رأس كل منهم حارسين يحمل كل منهم سيفه(٤٣)، و خاطب معاوية أهل المدينة معلنا موافقة المعارضين الأربعة على مبايعة يزيد، فاضطر المعارضون الأربعة إلى السكوت ، و بايع الناس ليزيد .

و الفتنة الثانية وقعت في عام ٦٣ هـ ،فقد دعا عبد الله بن الزبير لنفسه بعد استشهاد الحسين في كربلاء مبايعة الناس في تهامة و الحجاز ، و كان أهل المدينة قد غضبوا لمقتل الحسين ابن علي ، فخلعوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامل يزيد عليهم ، و طردوا مروان (٤٤) بن الحكم و سائر بني أمية ، و أقاموا عليهم عبد الله بن حنظلة فسير إليهم يزيد قوة كثيفة من الشاميين عدتها ١٢ ألف مقاتل (٤٥) ، و قيل خمسة آلاف (٤٦) بقيادة مسلم بن عقبة المري لتأديب أهل المدينة و القضاء على حركة ابن الزبير،أما أهل المدينة فقد ولوا على أنفسهم عبد الله بن مطيع العدوي عن قريش ، و عبد الله بن حنظلة (٤٧) عن الأنصار، و تلوموا بخندق حفروه حول المدينة ، و لكن الشاميين تمكنوا من اقتحام المدينة بعد معركة ضارية دارت بالحرة في ٢٧ ذي الحجة سنة ٦٣ هـ قتل فيها ثمانون من صحابة الرسول (ص) و آلاف من سائر الناس ، و استباح عسكر الشاميين المدينة و دعوا أهل المدينة إلى البيعة على أنهم عبيد فبايع الناس على ذلك .

و الفتنة الثالثة وقعت في المدينة في خلافة ابي جعفر المنصور ، فقد أثار استئثار العباسيين بالخلافة دون العلويين سخط العلويين و غضبهم ،و كان الحسنيون أول من تحرك منهم للمطالبة بحقهم في الخلافة ، و تزعم الثورة محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي في جمادى الآخرة سنة ١٤٥هـ و دعا الناس فبايعته (٤٨) . و لم يتردد المنصور في اخماد هذه الحركة التي اصبحت تشكل خطرا جسيما يتهدد كيان الدولة العباسية ، فسير إلى المدينة عيسى بن موسى ولي عهده على رأس قوة عدتها أربعة آلاف فارس و ألفي راجل، و أردف هذه القوة بجيش كثير تولى قيادته حميد بن قحطبة والي الجزيرة و أحد كبار القادة العباسيين .و دخلت قوات عيسى بن موسى المدينة يوم النصف من رمضان سنة ١٤٥هـ ، و فوجيء أهل المدينة بخيالة العباسيين تطرقهم، و اشتد القتال و استشهد عدد لا يستهان به من أنصار النفس الزكية، فتفرق كثير منهم عنه و أيقن بالهزيمة فدخل دار مروان و اغتسل و صلى الظهر، ثم خرج لمواصلة القتال بين من تبقى من أصحابه حتى استشهد على يد حميد بن قحطبة الذي احتز رأسه .(٤٩) و بذلك قضى المنصور على ثورة الحسنيين في المدينة . ثم تجددت ثورات الحسنيين في المدينة سنة ١٦٩هـ في خلافة الهادي ، و تولى زعامتها هذه المرة الحسين بن علي ابن الحسن بن الحسن ، و كان يتولى المدينة من قبل الخليفة العباس آنذاك عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي اصطنع مع الحسنيين سياسة تقوم على العنف و البطش ، و أدى ذلك إلى قيام الحسين بالدعوة لنفسه ، فبايعه أهل المدينة ثم خرج في أنصاره إلى مكة في في ٢٤ من ذي الحجة فتصدت له عند فخ قرب مكة قوة كثيفة العدد من العباسيين بقيادة سليمان بن المنصور و دارت بين الفريقين معركة عنيفة انتهت بمصرع الحسين و معظم من كان معه .(٥٠)

و هكذا نجد أنفسنا أمام أكثر من احتمال ، إلا أننا نرجح الاحتمال الثالث استنادا إلى رواية أوردها السمهودي على لسان الامام مالك بن انس الذي قال " ان مصحف عثمان رضي الله عنه تغيب فلم نجد له خبرا بين (٥١) الأشياخ " و من المعروف أن مالكا توفى سنة ١٧٩هـ . كذلك يذكر السمهودي أن القاسم بن سلام المتوفي سنة ٢٢٣هـ رأى (٥٢) مصحف عثمان المنقوط بدمه ، و قد استخرج له من خزائن بعض الأمراء ، و شاهد آثار الدماء بورقاته . و هناك نص أورده كل من ابن عبد الملك الأنصاري (٥٣) في " الذيل و التكملة" و ابن مرزوق في " المسند الصحيح "(٥٤)، يذكر فيه أن شخصا يدعى أبو بكر محمد بن يعقوب بن شيبة بن الصلت ، ذكر أنه سمع عن والده أحمد و رأى بخط جده يعقوب ما يؤكد أن يعقوب هذا رأى مصحف عثمان (المصحف الإمام) بنفسه في العراق في شهر ربيع الأول سنة ٢٢٣هـ قد بعث به المعتصم العباسي لتجدد دفتاه و يحلى و أنه شاهد في أوراق كثيرة من المصحف أثر دم كثير . و أن أكثر هذا الدم في سورة " و النجم " ،

و على قوله تعالى « فسيكفيكهم الله » و ألفى أن طول المصحف يبلغ نحو شبرين و أربعة أصابع و أن كل سطر يشتمل على ٢٨ سطرا .

و نخرج من هذه الرواية بالحقائق الآتية : ١ - أن المصحف الإمام كان محفوظا بالعراق زمن الخليفة المعتصم بالله ٢ - أن طول المصحف كان يصل إلى نحو [illegible]ين و أربعة أصابع و أن كل ورقة منه كانت تشتمل على ٢٨ سطرا ٣ - أن نقاط من الدم [illegible]ت تصبغ عددا كبيرا من أوراق المصحف .

من ذلك كله نرجح أن يكون المصحف الإمام قد اختفى من المدينة في حياة مالك بن أنس و هذا يدعونا إلى رفض الإحتمالين الأولين ، و تقبل الإحتمال الثالث و يقضي بأن المصحف الإمام فقد من المدينة مع أحداث الفتنة الثالثة أو وقعة فخ سنة ١٦٩هـ ، إذ أن هذا التاريخ يتفق منطقيا مع الفترة الزمنية التي عاش فيها الإمام مالك و مع طبيعة الاحداث .و على هذا الأساس يمكننا القول بأن المصحف الإمام كان محفوظا عند أحفاد عثمان بن عفان بالمدينة ، و هؤلاء كانوا أقرباء للأمويين ، و لا يعقل أن ينتزع الأمويون مصحف عثمان بن عفان سواء في فتنة سنة ٥٠هـ التي أخذ فيها معاوية بيعة أهل المدينة لإبنه يزيد قهرا إذ ليس منطقيا أن يقتحم معاوية دار حفيده خالد بن عمرو بن عثمان لينتزع منه المصحف الإمام ، فهو مهما كان الأمر حفيده و أقرب الناس إليه و أكثرهم موالاة له . و سواء في فتنة المدينة سنة ٦٣هـ ، إذ ليس من المنطقي أن يأمر يزيد بن معاوية جنده الشاميين باستباحة حرمة دار خالد بن عمرو بن عثمان الذي هو ابن أخته رملة. يضاف إلى ذلك أن هذين التاريخين سواء عام ٥٠هـ أو ٦٣هـ لا يعاصران حياة مالك بن أنس الذي أكد أن مصحف عثمان الذي كان يقرأ فيه ساعة استشهاده تغيب . و نخلص من ذلك كله بأن المصحف الإمام الخاص بعثمان بن عفان و المنقوط بدمه ظل محفوظا في دار عثمان بالمدينة طوال العصر الأموي و أنه تغيب عنها على حد قول الإمام مالك في بداية العصر العباسي ، و ربما في الوقت الذي اقتحم فيه العباسيون المدينة سنة ١٦٩هـ ، و هذا يدعونا إلى الاعتقاد بأن هذا المصحف انتقل إلى أرض العراق في أعقاب الموقعة إذ أن استيلاء العباسيين على هذا المصحف الذي كان يحتفظ به بنو عثمان بن عفان أقرباء الأمويين يعني الكثير بالنسبة إليهم ، و مما يؤكد صحة استنتاجنا أن السمهودي المؤرخ المشرقي و ابن مرزوق و ابن عبد الملك الأنصاري المؤرخان المغربيان يتفقون على أن المصحف الإمام المنقوط بدم عثمان كان بالعراق في حدود سنة ٢٢٣هـ ، فالسمهودي يؤكد أن أبا عبيد القاسم بن سلام ، رأى المصحف المذكور و قد استخرج له من خزائن بعض الأمراء و أنه شاهد آثار دم عثمان به (٥٥)، و لكنه لم يحدد البلد الذي رأى فيه هذا المصحف، كما أنه لم يعرف بالأمراء الذين كانوا يحتفظون به في خزائنهم .

و مع ذلك فإننا استطعنا من خلال ترجمة ابى عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي و مقارنة رواية السمهودي برواية ابن عبد الملك الأنصاري أن نتوصل إلى تحديد الموضع الذي كان المصحف الإمام محفوظا فيه ،فابن سلام المذكور كان يعرف بالبغدادي لطول إقامته في بغداد ، و كان من أشهر تلاميذ الأصمعي أخذ عنه بالبصرة ، كما سمع بالكوفة على ابن الاعرابي و الكسائي ، و استقر به المقام بعد ذلك في بغداد إلى أن رحل إلى مكة (٥٦) سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) لأداء فريضة الحج ثم توفى بها سنة ٢٢٣ هـ . و نستنتج من هذه الترجمة أنه عاش في العراق حتى سنة ٢١٤ هـ ، و هذا يعني أنه شاهد مصحف عثمان المنقوط بدمه في العراق خلال هذه الفترة حيث استخرج من خزائن أمراء الدولة العباسية ببغداد التي نسب إليها ابن سلام بحكم اقامته الطويلة بها. و معنى ذلك أن المصحف الإمام حمل من المدينة إلى بغداد في أوائل العصرالعباسي الأول، وبالذات في سنة ١٦٩ هـ و هو العام الذي دارت فيه موقعة فخ ، و هناك احتفظ به أمراء بني العباس في خزائنهم ، و يؤكد ذلك رواية كل من ابن عبد الملك الانصاري و ابن مرزوق التي تؤكد أن يعقوب بن شيبة رأى بنفسه مصحف عثمان المنقوط بدمه في العراق سنة ٢٢٣ هـ ، و هذا الاستنتاج يخالف الرأي الذي أدلى به ابن عبد الملك الانصاري و الذي يذكر فيه احتمال انتقال المصحف إلى الأندلس مع الأمير عبد الرحمن الداخل،و يدعونا إلى ترجيح الرأي القائل بوصوله أو على الأقل جزء منه كما سنوضح ذلك في الصفحات التالية في عهد الأمير (٥٧) عبد الرحمن الأوسط(٢٠٦ - ٢٣٨ هـ).

وتختلف آراء مؤرخي الأندلس بشأن هذا المصحف :

فابن بشكوال يرى أن هذا المصحف هو أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار ، وأن ما اصطبغ به من آثار دماء عثمان ، زيف و وهم ولا أساس له من الحقيقة و يرجح أن يكون هذا المصحف ، المصحف العثماني الشامي (٥٨) و يرى ابن عبد الملك الانصاري أن هذا المصحف الذي احتفظ به الأمويون في جامع قرطبة ، واهتم عبد الرحمن الناصر بتزويقه و الاحتفال به ، ثم غرّب من قرطبة سنة ٥٥٢ هـ إلى مراكش لم يكن النسخة الخاصة بالخليفة الشهيد عثمان بن عفان ، و يرجح بدوره أن يكون مصحف الأندلس أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان بن عفان إلى مكة و البصرة و الكوفة و الشام ، فإن يكن أحدها فلعله الشامي استصحبه عبد الرحمن الداخل معه إلى الأندلس سنة ١٣٨ هـ مما بعثت إليه أخته من الذخائر و التحف أو أن يكون مما اجتلب إلى غيره من ذريته (٥٩) . و مع ذلك فهو يذكر نقلا عن الرازي أن المصحف المحفوظ بجامع قرطبة هو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان (٦٠) مما خطه بيمينه كما يذكر نقلا عن ابن حيان في أحداث سنة ٣٥٤ هـ أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه خطه بيمينه (٦١). ويذكر المقرى أن هذا المصحف كان مصحف عثمان بن عفان ، و كان يقرأ فيه عندما

استشهد، وكان يزدان بحلية من الذهب مطللة بالدر و الياقوت و عليه أغشية الديباج (٦٢).و في موضع آخر يؤكد أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه مما خطه بيمينه (٦٣).

و من خلال هذا العرض للآراء المختلفة يتبين أن هناك فريقين ،الأول يؤكد أن المصحف الذي كان بجامع قرطبة هو مصحف عثمان بن عفان الخاص به كتبه بخط يده وكان يقرأ فيه لحظة استشهاده فتناثرت قطرات من دمه و تركت آثارها عليه ، و من هذا الفريق الرازي و ابن حيان و الإدريس و المقرى .

أما الفريق الثاني فينفي أن يكون المصحف المذكور مصحف عثمان الخاص به ، و يميل أصحاب هذا الرأي إلى أن المصحف هو أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان إلى الأمصار الأربعة، و يرجحون أن يكون نفس المصحف الشامي و أنه دخل الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل ،و من هذا الفريق ابن بشكوال و ابن عبد الملك الأنصاري .

و يميل إلى الأخذ بالرأي القائل بأن مصحف جامع قرطبة هو نفسه أو بضع أوراق منه بمعنى أصح هو المصحف الإمام الذي كان يقرأ فيه الخليفة الشهيد وقت استشهاده وإن كنا لانوافق أصحاب هذا الرأي على أن عثمان بن عفان هو الذي خطه بيمينه لأن المصادر العربية تجمع على أنه عهد إلى عدد من الصحابة بنسخ المصحف على قراءة واحدة بلسان قريش وأنه لم يكتب أو ينسخ بنفسه أيا من هذه المصاحف . كما نرفض رأي ابن بشكوال وابن عبد الملك الأنصاري بشأن المصحف المحفوظ بجامع قرطبة و يذهب كل منهما إلى أن هذا المصحف هو أحد المصاحف الأربعة التي أرسلت إلى الأمصار الأربعة البصرة ، و الكوفة و مكة و دمشق ، وإن كانا يرجحان أن يكون مصحف دمشق .

و نعتقد أن مصحف الكوفة ربما ضاع في غمرة القلاقل و الإضطرابات التي احتدمت في الكوفة في خلافة علي بن أبي طالب و في العصر الأموي عندما أصبحت مركزا للتشيع ، وحتى لو افترضنا بوجوده في الكوفة فلا يعقل أن يفرط أهل الكوفة في مصحفهم العثماني الإمام ليرسل إلى الأندلس التي كان يتولى حكمها أمراء من البيت الاموي السنة ، و أما مصحف مكة فقد و صلتنا أخبار عنه حتى القرن الثامن الهجري ، من ذلك أن ابن جبير رآه بمكة أثناء زيارته لها (٦٤) ، كما تحدث عنه الرحالة الطنجي ابن بطوطة عند زيارته للحرم المكي الشريف (٦٥) ، كما عاينه أبو القاسم التجيبي السبتي في قبة اليهودية بمكة في أواخر سنة ٦٩٦ هـ و كذالك تحدث عنه السمهودي في مصنفه و فاء (٦٧) الوفا ، و على هذا الأساس لا يمكن أن يكون مصحف مكة هو نفس مصحف قرطبة .

أما مصحف البصرة فقد أشرنا فيما سبق أن ابن بطوطة رآه في البصرة ،

و رجحنا أن يكون نفس المصحف الذي أرسله عثمان بن عفان إلى البصرة ، و ربما انتقل فيما بعد إلى سمرقند ثم إلى طشقند . و أيا ماكان الأمر فإن رؤية ابن بطوطة لمصحف البصرة يتعارض مع الرأي القائل بأنه هو ذاته المصحف الذي كان بجامع قرطبة .

بقي علينا أن نناقش قول كل من ابن بشكوال و ابن الملك بأن مصحف قرطبة هو أصلا المصحف العثماني بدمشق ، و أنه دخل الأندلس مع عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨ هـ ، و هو قول مردود نستبعده تماما لما يأتي :

أولا : إن الرحالة الذين زاروا دمشق وصفوا المصحف العثماني الشامي في فترات زمنية متأخرة مما يتعارض مع رأي ابن عبد الملك الأنصاري في أنه انتقل إلى قرطبة زمن عبد الرحمن الداخل . فقد رآه ابن جبير و وصفه كما شاهده الهروي (سنة ٦١١ هـ) و شاهده أبو القاسم التجيبي السبتي سنة ٦٩٧هـ ، و كذلك ابن فضل الله العمري (٧١) في القرن الثامن الهجري ، و ابن بطوطة في نفس القرن (٧٢) .

ثانيا: يذكر ابن عبد الملك الأنصاري أن حجم مصحف قرطبة يختلف عن حجم المصحف الذي رآه أبو بكر بن شيبة في العراق كما أن آثار الدم في مصحف العراق كانت تبدو في أكثر من موضع .

و أعتقد لكشف الغموض الذي يكتنف مصحف عثمان الإمام أن المصحف الذي كان محفوظا بجامع قرطبة لم يكن كله مصحف عثمان الذي كان يقرأ فيه يوم إستشهاده ، و إنما كان يشتمل على أربع ورقات فقط ، أما بقية أوراق المصحف فقد تكون قد نسخت على نفس نظام المصحف العثماني . و نستند في هذا الرأي على رواية الإدريسي الجغرافي الثبت المعروف بأمانته و صدقه في الوصف ، و يذكر فيها مخزن الجامع الواقع على يسار المحراب فيه مصحف "يرفعه رجلان لثقله فيه ٤ أوراق من مصحف عثمان بن عفان ، و هو المصحف الذي خطه بيمينه رضي الله عنه ، و فيه نقطة من دمه " (٧٣) . و نخرج من ذلك بأن مصحف الأندلس اكتسب شهرته و رفيع مكانته من تلك الورقات الأربعة التي إنتزعت من المصحف الأصلي و اصطبغت بنقاط من دمه . و من هنا عظم أهل قرطبة مصحفهم و بجلوه و توارثت الأجيال في قرطبة هذا الشعور العميق بالتعظيم لهذا المصحف حتى ارتحل هذا المصحف على أيدي الموحدين في السنوات الأولى من دخولهم الأندلس إلى المغرب و بالذات سنة ٥٥٢هـ حماية له من التعرض لأي مكروه بعد الغارة الوحشية التي قام بها النصارى على قرطبة سنة ٥٤٠ هـ و دخولهم أروقة الجامع بخيولهم و انتهابهم لذخائره .

وإذا كنا قد رجحنا دخول مصحف عثمان الخاص به الأندلس في عصر الأمير عبدالرحمن الأوسط

فلأنه عصر الإنفتاح في الأندلس على المشرق و بالذات على العراق ، و وصول كثير من التحف و الذخائر التي ضاقت بها خزائن بغداد و التي انتهبت في فتنة الأمين و المأمون إلى قرطبة .
و ظل هذا المصحف محفوظا بموضعه من جامع قرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر ، فلما شرع الحكم المستنصر في زيادته المنسوبة إليه بالجامع من جهة القبلة في ٨ من جمادي الآخرة سنة ٣٥٤ هـ ، أمر بأن ينتقل إلى دار صاحب الصلاة الثقة المأمون محمد بن يحي بن عبد العزيز المعروف بابن (٧٤) الخراز احتراسا به و مبالغة في حرسه عليه ، و أن يظل محفوظا لديه إلى أن يفرغ البنا مون (٧٥) في زيادة الحكمية فيعود إلى مكانه الجديد من المقصورة المحدثة . و تم بالفعل نقل المصحف المكرم احتمله مشيخة السدنة إلى دار ابن الخراز في التاريخ المذكور . فلما تمت الزيادة الحكمية بالجامع في سنة ٣٥٥ هـ و نصبت المقصورة الجديدة في الجامع ، و أعيد المصحف إلى موضعه من هذه المقصورة (٧٦) حيث اختزن داخل الغرفة التي يؤدي إليها الباب المعقود على يسار جوفة المحراب .

و كان يتولى العناية بالمصحف الإمام و كرسيه سادن الجامع ، و يذكر ابن سعيد المغربي أنه كان يتولاه في عهد بني جهور زمن الطوائف ، وزير مما يعبر عن أهمية هذا المصحف . و ظل المصحف الإمام محفوظا في موضعه من الجامع في عصر بني جهور و عصر دولة المرابطين ، وقد وصفه الإدريسي (ت سنة ٥٦٠هـ) الذي انتهى من تأليف كتابة مصنفه الموسوم " بنزهة المشتاق " سنة ٥٤٨ هـ قبل أن تخضع الأندلس لدولة الموحدين . و من الجدير بالذكر أن المرابطين إهتموا بهذا المصحف إهتماما كبيرا فقد وضعوا لرعايته ٣ رجالا من قومه المسجد لإخراجه صباح كل يوم جمعة ، و ذكر الإدريسي أن هذا المصحف كان مغلقا بغلاف من الجلد قاتم اللون (٧٧) " بديع الصنعة منقوش بأغرب ما يكون من النقش و أدقه و أعجبه " . (٧٨)
و كان إمام الجامع يقرأ من المصحف صبيحة كل يوم نصف حزب ثم يرده إلى كرسيه بالمصلى مرة ثانية (٧٩) .

و عندما انضوت الأندلس في فلك دولة الموحدين كان عبد المؤمن بن علي أو خلفاء الموحدين يشعر بالقلق الشديد على هذا المصحف الجليل منذ أن تعرض الجامع القرطبي لعبث القشتاليين و انتهابهم لتفافيح المنار و أوصال المنبر ، و دفعه حرصه على سلامة هذا المصحف إلى أن يقدم على نقله إلى مراكش ، و تولى مهمة نقل المصحف السيدان أبو سعيد و أبو يعقوب ولدا الخليفة في ١١ شوال سنة ٥٥٢ هـ . (٨٠)
وفي هذه المناسبة نظم الوزير أبو زكريا يحي بن أحمد بن يحي بن عبد الملك بن طفيل قصيدة منها:
جزى الله عن هذاالأنام خليفة ## به شربوا ماء الحياة فخلدوا

وحياه ما دامت محاسن ذكره # # على مدرج الأيام تتلى و تنشد
لمصحف عثمان الشهيد و جمعه # # بيّن أن الحق بالحق يعضد
تحامته أيدي الروم بعد انتسافه # # و قد كاد لولا سعده يتبدد
فما هو إلا أن تمرّس صارخا # # بدعوته العليا فصين المبدد

و قد اهتم الموحدون بالمصحف و اعتنوا بكسوته ، فكسوه بصفائح الذهب المرصعة باللآلئ النفسية و الأحجار الكريمة من يواقيت وزمرد و جواهر ، وحشدوا لاخراج غلافه على تلك الصورة الرائعة و الصنعة المتميزة عددا كبيرا من الصناع المتقنين و المهرة المتفننين في بلاده المغرب ، و كللوا غلافه بحجر ياقوت أحمر لا يقدر بمال كان يسمى الحافر كماصنع له أصونة غريبة من السندس الأخضر ، و محمل غريب الصنعة بديع الشكل مغشى بضروب من الترصيع في قطع من الأبنوس و الخشب (٨٢) الرفيع ، و صنع لهذا المحمل كرسي يحمله عند الإنتقال و يشاركه في أكثر الأحوال مرصع مثل ترصيعه ، ثم جعل لذلك كله تابوت يحتوي عليه مكعب الشكل سام في الطول ، يزدان بنفس الحليات التي يتحلى بها المحمل و كرسيه ، و دبرت لفتحه حركات هندسية ، عن طريق مفتاح إذا أديرت به اليد انفتح الباب إلى داخل الدفتين ، فيخرج الكرسي زاحفا ، و يغلق الباب تلقائيا بخروجه ، و من مظاهر عناية الموحدين بهذا المصحف ، و تبركهم به أنهم كانوا يحملونه في أسفارهم (٨٣) و حروبهم ، و كان عبد المؤمن بن على أول من سن هذه العادة المباركة في المغرب ، وكانوا يحملونه على هودج تحمله ناقة حمراء (٨٤) ، وقد كسيت بنفيس الديباج واحيانا جمل أبيض . و على الهودج أربع علامات حمر ، و يتبعه الخليفة وابنه وراء ثم يلي ذلك البنود و الأعلام و الطبول ثم الأمراء المدبرون للدولة .

واستمر الموحدون يحملون هذا المصحف المكرم معه في رحلاتهم وتنقلاتهم وإسفارهم إلى أن حمله الخليفة الموحدي المعتضد بالله أبو الحسن على بن المأمون أبى العلاء إدريس حين توجه إلى تلمسان على عادة خلفاء الموحدين وكان ذلك في نهاية عام٦٤٥ هـ ، فقتل على مقربة من تلمسان في آخر صفر سنة ٦٤٦ هـ (٨٥) ، فاحتل جيش الوحدين ووقع النهب في خزائن السلطان ، و استولى العرب و غيرهم على معظم المعسكر ، ونهب المصحف الكريم ، ولم يدرك منتهبوه مدى القيمة التارخية و الروحية لهذا المصحف فدخلوا به تلمسان و عرضوه للبيع ، ونودي عليه بسوق الكتب بتلمسان بسبعة عشر درهما و ضاعت منه أوراق . فلما علم أبو يحي يغمرا سن بن زيان أمير تلمسان من بني عبد الواد بذلك بادر بانتزاع المصحف الكرم من أيدي منتهبيه وأمر بصيانة و الحفاظ عليه ، و أورثه أبناءه . و ظل المصحف في حوزتهم حتى ٧٠٢ هـ .

وهكذا ظل مصحف عثمان محفوظا في خزائن ملوك تلمسان من بني عبد الواد حتى قـــدم أبوالحسن علي بن عثمان بن أبي يعقوب المرني إلى تلمسان في أواخر شهر رمضان سنة ٧٣٧ هـ وافتتحها سنة ٧٣٨ هـ فظفر بهذا المصحف ، فاهتم به اهتماما خاصا و كان يقدمه أمامه على عادة الموحدين في خروجه للقتال .

واتفق أن وقع هذا المصحف في أيدي البرتغاليين الذين اشتركوا مع القشتاليين و الأرجونيين في موقعة طريف المعروفة في المصادر المسيحية بموقع نهر سلادو في ٧ جماد ي الأول سنـــة ٧٤١ هـ ٧٤٠ م وانتهت بهزيمة نكراء منى بها المرينيـــون .

ولم يدخر السلطان المرينى جهدا لإسترداد المصحف ، فارسل إلى البرتغال التاجر أبا علي الحسن بن جمي من مدينة آزمور ليخلص المصحف بما يطلب فيه من مال . (٨٦)

و نجح أبو علي الحسن في مهمته و أعاده إلى السلطان إبي الحسن الموريني بفاس في سنة ٧٤٥هـ وذكر ابن مرزوق أنه إتفق في افتداء المصحف الألف من الدنانير الذهبية .

و هكذا أعيد المصحف الإمام الى فاس بعد أن جرد البرتغاليون أغشيته و مزقوا ماكان على دفتيه من وشي و أحجار كريمة . و استمر المصحف محفوظا في خزائن المرينيين وكان ذلك آخـر العهد به إذ إنقطعت أخباره منذ ذلك التاريخ .

الهوامش

(١) أبو عبد الله البخاري ، صحيح البخاري ، تقديم فضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر ، النسخة المنقولة عن الطبعة الأميرية ، الجزء السادس ،صـ ٢٣٠ الإمـــام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق. محمد أبو الفضـــل ابراهيم طبعة ١٩٥٧ ، . ١ ،صـ ٢٤١ .

(٢) الزركشي ، المصدر السابق ، صـ٢٤١ .

(٣) نفسه ، صـ٢٣٧ و لمزيد من التفاصيل عن المواد التي دون عليها القرآن زمن الرسول صـ ٥٨ ، و صبحي الصالح ، مباحث في علوم القـــرآن ، الطبعـة الثانـية دمـشق ١٩٦٢ ، صـ ٦٧) .

(٤) صبحي الصالح ، المرجع السابق ، صـ ٦١ - ٦٦ ، و ارجع كذلك إلى محـمـد زكـــي الدين محمد قاسم ، مدخل إلى معرفة القرآن الكريم ، طبعة وزارة الأوقاف ، سلسلة دراسات في الإسلام ، العدد ٢٤٠ ، صـ ٣٨ - ٤١ .

(٥) محمد عبد العزيز مرزوق ، المصحف الشريف ، دراسة تاريخية و فنية ، مطبعــــة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٧٠ ، صـ ٣ .

(٦) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) تاريخ الأمم و الملوك ،طبعة بيروت مكتبــــة البيان ، حوادث سنة ١١ ، ١٢ هـ و انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، ،جـ ١ ، القاهرة ١٩٥٦ ، صـ١١١ .

(٧) ابو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، المقنع في رسم مصاحف الأنصار ، تحقيق محمد صادق القمحاوي ، طبعة القاهرة ١٩٧٨ ،صـ ١٣ - ١٤ .كما أورد كل من السجستاني والزركشي روايتين متشابهتين مع الرواية التي أوردها الداني عن تكليف أبي بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن انظر (السجستاني (الحافظ ابو بكرعبد الله بن أبي داود سليمان بن الاشعث) كتاب المصاحف ، صححه و وقف على طبعه آثر جفرى ،الطبعة الأولى ، ١٩٣٦ - ١٣٥٥ هـ ، صـ ٧ ، - الزركشي ، البرهان ، صـ ٢٣٣) .

(٨) السيوطي ، الاتقان ،صـ ٥٨ .

(٩) المصدر السابق ، صـ ٥٨ .

(١٠) السجستاني ، كتاب المصاحف ، صـ ٨٥٥ - الحافظ ابو الخير الدمشقي الشهيـــر

بابن الجزري ، النشر في القرءات العشر ، تصحيح الأستاذ علي محمد الضباع ، طبعة القاهرة ، جـ ١ ، صـ ٧ .

و ارجع كذلك إلى (صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، صـ ٧٦) .

(١١) عبد العزيز مرزوق ، المصحف الشريف ، صـ ١٠ ، ١١ و ارجع إلى ارنست كونـــل ، صنعة الخط في الإسلام ، مجلة فكر و فن الالمانية ، عدد ٣ ، سنة ١٩٦٤ ، صـ ٢٦ .

(١٢) السجستاني ، كتاب المصاحف ، صـ ٦ .

(١٣) ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، صـ ٧ .

(١٤) المصدر السابق ، صـ ٧ .

(١٥) عن المناقشات الطويلة التي دارت حول تحديد العام الذي بدء فيه بنسخ المصاحف ارجع إلى (السجستاني ، كتاب المصاحف ، صـ ٢٢ . ٢٤ . ٢٥ ، السيوطي الاتقان جـ ١ ، صـ ١٠٢ ، و ارجع كذلك إلى (صبحي الصالح ، مباحث في علوم القـرآن ، صـ ٧٩ ، صـ ٨٣ و عبد الله خورشيد البري ، القرآن و علومه في مصر ٢٠ - ٣٥ هـ ، طبعـة دار المعارف ، صـ ١٨ - ٤٥) .

(١٦) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق سكينة الشهابي ، طبعة دار الفكر ، دمشق ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤، صـ ٢٧٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ .

(١٧) الداني ، المقنع ، صـ ١٠ .

(١٨) الزركشي ، البرهان ، جـ ١ ،صـ ٢٣٥ .

(١٩) السجستاني ، كتاب المصاحف ، صـ ٣٤ .

(٢٠) تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، صادر دار بيروت ، ١٩٦٠ ، صـ ١٧٠ .

(٢١) ابن الجزري ، النشر ، صـ ٧ .

(٢٢) عبد العزيز مرزوق ، المصحف الشريف، صـ ١٣، محمود حلمي ،على هامش المصحف الإمام ، و الخط المصحفي ، بحث تحت النشر ، صـ٣ - محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، القاهرة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ الجزء الأول ، صـ ٣٦٠) .

(٢٣) لمزيد من التفاصيل عن الفتنة ارجع إلى الطبري ، أحداث سنة ٣٥ هـ - ابن الاثيــــر (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني) الكامل في التاريخ ، جـ ٣، طبعة بيروت سنة ١٩٦٥ ، أحداث سنة ٣٠ - ٣٥ هـ - السيد عبد العزيز سالم، التاريخ السياسي و الحضاري للدولة العربية ، طبعة مؤسسة شباب الجامعة ، صـ ٢٨٥-٣١٤).

(٢٤) تقي الدين المقريزي ، المواعظ و الاعتبار في ذكر الخطط و الآثار ، جـ ٢ ، طبعة بغداد ، النسخة المصورة ، بدون تاريخ ، صـ ٢٥٥ .

(٢٥) أحمد تيمور باشا ، الاثار النبوية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ صـ ٦٧.

صلاح الدين المنجد ، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي ، بيروت . لبنان ، صـ ٤٦ - ٤٧ .

(٢٦) السمهودي (جمال الدين ابو المحاسن عبد الله بن السيد الشريف شهاب الدين ابن العباس احمد الحسيني الشافعي) ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم، الجزء الأول ، طبعة ١٣٢٦ هـ ، صـ ٤٨٢ .

(٢٧) عبد الله خورشيد البري ، القرآن و علومه في مصر ، صـ ٥٧ .

(٢٨) صلاح الدين المنجد ، المرجع السابق ، صـ ٥٣ .

(٢٩) عبد الله خورشيد البري ، القرآن و علومه في مصر ، صـ ٦٣ .

(٣٠) ابن بطوطة ، الرحلة ، طبعة ١٩٥٨، الجزء الأول ، صـ ١٨٦ .

(٣١) الداني ، المقنع ، صـ ١٠ ، الزركشي ، البرهان ، جـ ١ ، صـ ٢٣٥ .

(٣٢) صلاح الدين المنجد ، المرجع السابق ، صـ ٥٠ .

(٣٣) محمود حلمي ، على هامش المصحف الإمام و الخط المصحفي ، صـ ١١ .

(٣٤) المرجع السابق ، صـ ١١ .

(٣٥) نفسه ، صـ ١٢ .

(٣٦) صلاح الدين المنجد ، المرجع السابق ، صـ ٥٠ .

(٣٧) المرجع السابق ، صـ ٤٩ - ٥٠ .

(٣٨) السمهودي ، وفاء الوفا ، جـ ١ ، صـ ٤٨١ .

(٣٩) المصدر السابق ، صـ ٤٨٢ .

(٤٠) محمد بن سعد كاتب الواقدي ، كتاب الطبقات الكبير ، طبعة ١٣٢١، جـ ٥ ،صـ١١١.

(٤١) السمهودي ، وفاء الوفا ، جـ ١ ، صـ ٥٢٨ .

(٤٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الانصاري ، الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة، السفر الأول ، من القسم الأول ، طبعة دار الثقافة ببيروت لبنان صـ ١٦٥ .

(٤٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٣ ، صـ ٥١١ و انظر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسي و الحضاري للدولة العربية ، صـ ٣٥٢ - ٣٥٤ .

(٤٤) اليعقوبي ، صـ ٢٥٠ .

(٤٥) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٤ ، صـ ١١٢ .

(٤٦) اليعقوبي ، صـ ٢٥١ .

(٤٧) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٤ ، صـ ١١٢ .

(٤٨) الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، صـ ٢١١ - ٢٢٠.

(٤٩) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، صـ ٥٣٣ - ٥٥١ .

(٥٠) المصدر السابق ، جـ ٦ ، صـ ٩٠ - ٩٢ - الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين صـ ٣١١ . ٣٢٠.

(٥١) السمهودي ، وفاء الوفا ، جـ ١ ، صـ ٤٨٢ .

(٥٢) ولد أبو عبيد القاسم بن سلام عام ١٥٤ هـ (٧٧٠م)، و توفي بمكة و قيل في المدينة سنة ٢٢٣ هـ (٨٣٧ م) و قيل سنة ٢٢٤ هـ (انظر تاريخ الادب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة د . عبد الحليم النجار ، طبعة دار المعارف ، جـ٢ ، صـ ١٥٥ و انظر كتاب الايمان للإمام ابى عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق محمد ناصر الدين الالباني مطبعة المؤسسة السعودية بمصر ، المقدمة) و إن كان د. صلاح الدين المنجد يرى أن وفاته كانت عام ٢٢٢هـ (صلاح الدين المنجد ، المرجع السابق ، صـ ٤٧) .

(٥٣) ابن عبد الملك الانصاري، الذيل و التكملة، السفر الأول من القسم الأول،صـ ١٦٥ . ١٦٦.

(٥٤) محمد ابن مرزوق التلمساني،المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، الجزائر ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ ، صـ ٤٨٥ ، صـ ٤٨٦ .

(٥٥) السمهودي ، وفاء الوفا ، جـ ١ ، صـ ٤٨٢ .

(٥٦) لمزيد من التفاصيل عن كتب ابى عبيد القاسم بن سلام و مصنفاته و أماكن حفظها ارجع إلى (كارل بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، صـ ١٥٥ - ١٥٩) .

(٥٧) فون شاك ،الفن العربي في اسبانيا و صقلية ،ترجمة الدكتور الطاهر مكي،صـ١٩٤-١٩٥.

(٥٨) ابو العباس احمد بن محمد بن احمد بن يحي المقري التلمساني ، نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، طبعة محي الدين عبد الحميد ، جـ ٢ صـ ١٣٥ .

(٥٩) ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة ، السفر الاول ، القسم الاول ، صـ ١٦٦ .

(٦٠) المصدر السابق ، صـ ١٥٨ ، ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، صـ ٤٥٦ .

(٦١) ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة ، صـ ١٥٨ .

(٦٢) المقري ، نفغ الطيب ، جـ٢ ، صـ ٨٦ .

(٦٣) المصدر السابق ، صـ ٩٩ .

(٦٤) صلاح الدين المنجد ، المرجع السابق ،صـ ٤٨ .

(٦٥) ابن بطوطة ، الرحلة ، طبعة بيروت ، صـ ١٣٨ .
(٦٦) ابن مرزوق ، المسند ، صـ ٤٥٩ - المقري ، نفخ الطيب ، جـ ٢ ، صـ ١٣٥ .
(٦٧) السمهودي ، وفاء الوفا ، جـ ١ ، صـ ٤٨٢ .
(٦٨) ابن جبير ، الرحلة ، طبعة حسين نصار ، صـ ٢٥٧ .
(٦٩) صلاح الدين المنجد ، المرجع السابق ، صـ ٤٥ .
(٧٠) ابن مرزوق ، المسند ، صـ ٤٥٩ ، المقري ، نفخ الطيب ، جـ ٢ ، صـ ١٣٥ .
(٧١) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، تحقيق أحمد زكي ، جـ ١ ص ١٩٥ .
(٧٢) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٩٠ .
(٧٣) الشريف الإدريسي ، المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، طبعة ليدن سنة ١٦٦٨ ص ٢١٠ ، ٢١١ .
(٧٤) ارجع في ترجمة ابن الخرازالي (أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرض ، تاريخ علماء الأندلس ، طبعة مدريد ١٨٩٠ ترجمة رقم ١٣٢٣ص٢٧٤).
(٧٥) ابن عبد الملك الأنصاري ، الذيل و التكملة ، ص١٥٨ .
(٧٦) ابن غالب ، قطعة من فرحة الأنفس ، ص ٢٨ ، ابن عذارى المراكشي البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، نسخة مصورة من طبعة ليدن ، جـ ٢ ، ص ٣٥٥ - المقري نفخ الطيب ، جـ 2 ، ص 88 .
(٧٧) ابن عبد الملك الأنصاري ، الذيل و التكملة ، السفر الأول من القسم الأول ، ص ١٦٤ - ١٦٧ .
(٧٨) الإدريسي ، المغرب و أرض السودان ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .
(٧٩) المصدر السابق ، ص ٢٦١ .
(٨٠) المقري ، نفخ الطيب ، جـ٢ ، ص ١٣٥ .
(٨١) المصدر السابق ، جـ ٢، ص ١٤٠ و انظر باقي القصيدة في نفس المصدر ، ص ١٣٨ - ١٤١ .
(٨٢) نفسه ، جـ ٢ ، ص ١٤٣- ١٤٤ .
(٨٣) ابن عبد الملك ، الذيل ، السفر الأول ، القسم الأول ، ص١٥٦ عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، سنة ١٩٤٩،ص٢٥٣ - كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف اندلس من أهل الثامن عشر ، حققه د . سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة - طبعة الدار البيضاء ص١٥٣ .

(٨٤) عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص٢٥٣ .
(٨٥) ابن عبد الملك الأنصاري ، الذيل و التكملة ، ص١٦٧ .
(٧٦) ابن مرزوق ، المسند ، ص٤٦١ - المقري ، نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ .